مجلـــة بدايـــات
Revue :Bidayat ISSN: 2676-198X
المجلد: الرابع(04) / العدد: الأول(01) / جانفي 2022 / ص ص: 70-85

أشكال حركة السرد والمكان عند الروائيين في قضاء الحديثة.

Forms of narrative movement and place for novelists in Haditha District

محمد عويد محمد الساير[1]

Mohammed awid Al-sayer [1]

[1] كلية التربية الاساسية / حديثة- جامعة الانبار(العراق)

البريد الإلكتروني : mohammed.woyid@uoanbar.edu.iq

تاريخ الإرسال:28-10-2021	تاريخ التحكيم:08-11-2021	تاريخ القبول: 11-11-2021	**تاريخ النشر**: 30-01-2022

ملخص البحث

تعدُّ الرواية من أهم الأجناس السردية الأدبية والنقدية هذا لما تمكنت من الوصل إليه في حضورها الفعلي في عصرنا هذا، لذا فقد سعى هذا البحث إلى دراسة أشكال حركة السرد في روايات الروائيين في قضاء الحديثة، وتَتبُع تلك الأشكال ومقاربتها ودراستها مع المكان وتأثيرها عليه وتأثير المكان عليها.

إن بعض تلك الأشكال كالسرد التابع مثلا حقق حضوراً كبيراً في روايات الروائيين في قضاء الحديثة إذ اتخذه بعض الروائيين وسيلة وشكل سردي افتتح به رواياته، هذا فضلاً عن السرد المتقدم الذي بدأت فيه بعض تلك الروايات كرواية (تحت شجرة التوت) على سبيل المثال.

درست في هذا البحث الأشكال الأربعة لحركة السرد متخذةً من النصوص السردية شواهد تطبيقية على تلك الأشكال.

الكلمات المفتاحية : أشكال؛ حركة؛ سرد؛ لاحق؛ تابع.

Abstract:

The novel is considered one of the most important literary and critical narrative genres because it was able to reach it in its actual presence in our time, so this research sought to study the forms of narrative movement in the novels of novelists in the Hadith district, and to trace these forms, approach and study them with place and their influence on it and the influence of place on it .

Some of these forms, such as the subordinate narration, for example, achieved a great presence in the narratives of novelists in the Haditha district, as some novelists adopted it as the means and form of narrative in which he opened his novels, in addition to the advanced narration in which some of those novels began as a novel (Under the Mulberry Tree), for example.

In this research, the four forms of narrative movement are studied, making the narrative texts apply evidence to those forms.

Key words: Traffic forms, Advance Narration, Affiliate Narration, Post Narration.

المؤلف المرسل: محمد عويد محمد الساير mohammed.woyid@uoanbar.edu.iq

مقدمة:

يهدف هذا البحث إلى دراسة أشكال حركة السرد في روايات الروائيين في قضاء الحديثة، وتقدم لذلك بتعريفه وتحديد مفهومه وأنواع حركاته والتعريف بكل نوع من تلك الأنواع، إذ أسهمت عدة تأثيرات من داخل حركة السرد ذاتها في بلورة الاتجاه الذي ينشده الروائي وإبرازه بشكل واضح.

تناول هذه الدراسة نماذج مختارة من أعمال الروائيين في قضاء الحديثة، إذ تمثل تلك المتون السردية في هذه الروايات للمتلقي بتنوعها وزخمها الفني عمقاً جمالياً مؤثرا وتأثرا بواقع الحياة المعيشية أو التي كانت معيشة سابقاً.

لذا جاءت أشكال حركة السرد متنوعة متعددة بتعدد الفكر وطبيعة الحياة المعيشة من روائي إلى آخر فقد جسد أولئك الروائيون كل الأشكال السردية ولاسيما السرد التابع الذي اعتمد على ذلك الخزين الذاكراتي عند الروائي فهو لربما يعد مفتاحا للرواية أو للفصل أو للجزء ذاته. ولذا فقد ابتدأت في دراسته النوع الأول من أشكال حركة السرد ثم درست السرد المتقدم ثم السرد الآني ثم السرد المدرج في ثنايا الزمن الحكائي ثم اتبعته بدراسة تطبيقية على كل نوع من هذه الأنواع.

التمهيد: في أشكال حركة السرد (تعريف ومفهومات):

تستند كل رواية إلى تدرج السرد على مساحة الأوراق الخزينة للأماكن والأزمنة والشخصيات والأحداث.. وتبعا لهذا الاستناد يُشيّد السرد عالماً جمالياً يعطي حيوية للرواية، متدفقة الحرارة لا يكفُّ وقعها على القارئ الواعي، الممتلئ بالمعرفة والثقافة العالية بمكوناتها جميعاً، ولاسيما الأدبية الإبداعية منها، وعند هذا النوع من القراء تكون حالة التفاعل ما بين الرواية والقارء بشكل تصاعدي لمدارج الربط بين وعي الشخصيات من جهة، ووعي القارئ من جهة أخرى. إذ يمكن اعتبار السرد في الرواية بمثابة الهيكل المتين الذي يتكفل بتحمل الأحداث والحوارات. ولا تقبل حالة الهشاشة السردية في أي عمل روائي؛ لان الهشاشة سرعان ما تُسقط الرواية من عقل القارئ وذهنهُ.

ففي سياق سابق ضمن مراحل بحثنا هذا اتضح لنا السرد كاصطلاح وما شابه ذلك، ولا ضير إذ عدنا إلى السرد الآن وبشكل آخر لمعرفته من الناحية الاصطلاحية التي تخصّ أشكال حركة السرد هذه المرة، إذ نجد (تودورف) يقول: (تعدُّ السردية فرعاً من فروع الشعرية التي تسعى بدورها إلى معرفة القواعد العامة التي تنظم ولادة كل عمل أدبي)[1].

بينما يقول (رولان بارت) في السرد من جهة أشكال حركة في النص الروائي: (إنه مثل الحياة علم متطور من التاريخ والثقافة)[2]. ومن المعروف أن الحياة تعريفها واضح فهي تتميز بالاتساع كذلك السرد عند (بارت) فهو علم متسع من التاريخ والثقافة، التاريخ لكونه يوثّق بعض الأحداث التاريخية، والثقافة لكونه يحمل أهداف متنوعه ينقلها الكاتب أو (السارد) إلى القارئ. كأن تكون أهدافاً اجتماعيةً أو سياسية أو ثقافية أو غيرها.

وقد عرّف السرد أيضاً بأنه (علم، بمثابة بناء أساسي يعتمد عليه الكاتب في تصوير الواقع ويشكّل السرد بذلك النسيج الداخلي للرواية)[3].

و(سعيد يقطين) يذكر السرد وأشكال حركته على أنه (التواصل المستمر الذي من خلاله يبدو الحكي كمراسلة يتم إرسالها من مرسل إلى مرسل اليه)[4].

وأمّا (يمنى العيد) قالت بأنه: (مجموعة من الأحداث التي تقع أو التي تقوم بها أشخاص تربط فيما بينهم علاقات وتحفزهم حوافز تدفعهم إلى فعل ما يفعلوه)[5] وهذا شيء طبيعي إذ نجد أصنافاً عدة من كاتبي الرواية والقصة بفنونها داخل الرواية الواحدة أو نجد نوعاً واحداً وربما نجد أكثر من نوع واحد...وهكذا.

هذا فيما يخصُّ السرد، أمّا عن أشكاله التي تحدد على وفق الوضع الزمني سواءٌ كان ماضياً أم حاضراً أم مستقبلاً.

أنواع أشكال حركة السرد (دراسة تطبيقية):

بعد هذا التمهيد المبسط في أشكال حركة أشكال حركة السرد ومفهوماته بين آراء النقّاد المحدثين، يأتي البحث إلى دراسة تطبيقية بشواهد سردية من روايات كتّاب الرواية في قضاء الحديثة، وهي كالآتي:

(1) **السرد التابع (اللاحق):**

ويقصد بهذا النوع سرد أو رواية أحداث ماضية، أي أنّ الراوي يقوم بسرد أحداث حصلت قبل زمن السرد، وهذا النوع هو النمط التقليدي للسرد والأكثر انتشاراً[6]، ويذكره الدكتور (صلاح فضل) بقوله: (هو الوضع الشائع في القص الكلاسيكي الذي يحكي أحداثاً ماضية)[7].

وأمّا (جيرار جينيت) لقد سماه بـ(السرد اللاحق)[8] معرفاً إياه بأنه (ذلك النمط الذي ينظم الغالبية العظمى من الحكايات التي أنتجت حتى اليوم ويكفي استعمال زمن الماضي لجعل سردٍ ما لاحقاً ولو لم يشرْ إلى المسافة الزمنية التي تفصل لحظة السرد عن لحظة القصة)[9] كأن يبدأ السارد قصته بـ(كان أحسن الأزمان، وكان أسوا الأزمان...)[10] وما أشبه ذلك، وهذا إشارة إلى سرد أحداث حصلت في زمن مضى، ويعدُّ هذا النوع من أشكال حركة السرد هو الأكثر انتشاراً في الروايات ولاسيما الروايات الكلاسيكية ذات المعنى القديم في القصَ والهدف والمضمون.

(2) **السرد المتقدّم (السرد السابق):**

هو حركة سردية يأتي بها الروائي لغرض إطلاع القارئ على ما سيحدث في المستقبل، ولربما يضيف صيغاً تدلُّ على استباق السرد للأحداث التي لم تحدث بعد، كأن يقول الروائي: سأزور الحديثة فيما بعد، وسأتعرف على الروائيين والشعراء فيها، كي أكتب عنهم وعن نتاجاتهم الأدبية .... وهكذا .

إذن هو (سرد استطلاعي يتواجد غالباً بصيغة المستقبل، وهو نادر في تاريخ الأدب)[11] وقد عرّفهُ (جيرالد برنس) بأنه: (سرد يسبق المواقف والأحداث المروية، ويعد السرد المتقدم أحد خصائص السرد التنبؤي)[12]. أي إنه سرد قائم على التنبؤ بما سيحدث لاحقاً .

وأمّا (جيرار جينيت) أطلق على السرد التابع بأنه (السرد اللاحق) فقد أُطلق على السرد المتقدم (السرد السابق) أي على العكس من النوع الأول تماماً. وعرّفهُ بقوله: (هو الحكاية التكهنية بصيغة المستقبل عموماً، ولكن لا شيء يمنع من إنجازها بصيغة الحاضر)[13].

وما هو واقعٌ بصدد هذا النوع من السرد فإنه قد يصدر عند راوٍ يقوم برواية أحداث مستقبلية لم تحدث بعد ولربما تحدث في المستقبل، أو رواية عن شخصية حكائية بشرط أن لا يفرق القارئ بين الراوي والشخصية التي تقوم بعملية السرد، بمعنى آخر يمكن أن يصدر عن شخصية روائية تكون هي الراوي نفسهُ، وبهذا يكون الراوي طرفاً في الرواية أو إحدى شخصياتها[14].

(3) **السرد الآني:**

إذا كان السرد المتقدم يعتمد على سرد أحداث مستقبلية والتابع يعتمد على أحداث ماضية فإنَّ السرد الآني يعتمد على سرد احداث في الحاضر، فهو يأتي (في صيغة الحاضر المعاصر لزمن الحكاية، أي أن أحداث الحكاية وعملية السرد تدور في آن واحد)[15]. فهو سرد تجتمع أحداثه في وقت واحد وهو زمن الحاضر .

ولقد أطلق (جيرار جينيت) على هذا النوع من السرد ب(السرد المتواقت)، إذ يعرفهُ في كتابه (خطاب الحكاية) بقوله: (هو الحكاية بصيغة الحاضر المزامن للعمل)[16]، أي أن العمل أو الحدث متزامن لصيغة السرد الحاضر.

(4) **السرد المدرج في ثنايا الزمن الحكائي:** هو أكثر أشكال حركة السرد تعقيداً، إذ تختلط الحكاية بالسرد تماماً، أي تواجد تداخل بين أحداث الحكاية والسرد، ولذا نلحظ أن (جيرالد برنس) أطلق عليه العديد من المصطلحات وهي تعطي هذا المعنى، منها: (السرد المتداخل(المدسوس)، المعترض)[17].أو كما أطلق علية (جيرار جينيت) (بالسرد المقحم) وعرفه بقوله (الحاصل بين لحظات العمل)[18]. ويعد هذا النوع من السرد أصعب أنواعه واكثرها تعقيداً، فهو (من أصعب الأنماط ، ويقع بين فترات الحكاية كما يظهر في الرواية القائمة على تبادل الرسائل بين الشخصيات المختلفة، اذ تكون الرسالة هي الوسط لسرد، وعنصراً في العقدة أي أن للرسالة قيمة انجازية كوسيلة تأثير في المرسل اليه)[19].

وبمعنى آخر (إنَّ السارد ينقل لنا صوت سردي في نفس الوقت الذي يحدث فيه الحدث، وهذا الصوت السردي يكون مؤقتاً وهو من أحد مميزات السرد الرسائلي الذي يعتمد على مُرسل ومُرسل اليه، أي راوي ومروي له)[20].

وقد تشمل البُنية السردية للنص الروائي هذه الأشكال وقد تقتصر على شكلين أو ثلاثة منها، بدءاً من المنظور الروائي الذي يعتمد على العلاقة بين مكونات النص السري، وعناصره ورسائله في أي عمل قصصي.

ونجد أنّ أشكال حركة السرد تنوعت في رواية الروائيين في قضاء الحديثة، وهذه الأشكال كلها جاءت بوعي ودقة من قبل الروائيين في استنطاق أي نوع من أنواع حركة أشكال السرد التي قدمنا التعريف والشرح والتفصيل فيها، وهذه الأنواع لحركة اشكال السرد قامت على المكان بأنواعه وأنماطه ودلالاته بشكل كبير، وكبير جداً، وفي نصوص من المشاهد السردية لكل رواية من روائيي قضاء الحديثة ما يثبت صحة زعمي هذا، ففي رواية (الصادقون أبطال في مدينتنا) للروائي (حمدي مخلف الحديثي) إذ نجد السرد الآني في قوله في المشهد السردي هذا :

(يكتفي حنش بمضغ الطعام ، يمسح يده بمنديل أزرق اللون. يولع سيجارة ، يبدأ بقوله:

- لم يأتِ "الحمار" كم هي الساعة الان؟
- الثامنة
- السابعة والنصف.
- لا، التاسعة !

اجابات الأولاد مختلفة، والسبب هو عدم امتلاك أي واحد منهم للساعة!

يعود الوالد للحديث:

- أريد محادثة الحيوان!

الزوجة :

- ماذا تريد أن تقول له؟

ما به صوتكِ ؟ أخائفة على حميد؟

- كفى ..كفى يا حنش، أرجوك .
- انهضي .
- إلى أين ؟.
- أريد شايا .
- حاضر .)[21].

إنّ حركة أشكال السرد في هذا المشهد السردي قائمة على السرد الآني، الشخوص تتحدث في وقت واحد وفي مكان واحد. أشكال حركة السرد الآنية أوجدت المكان الآني الذي هو وقت حصول الحدث، ووقت نزول الشخصية إلى وظيفتها في الحوار. وهو المكان الذي يصور لحظة الفعل ورد الفعل على الأديب، وهذه الردة هي التي تساهم كثيراً في إنتاج النص الادبي الإبداعي، الشعري وغيره[22] .

ولعلَّ علامات الترقيم من مثل علامة الاستفهام، وعلامة التعجب أوجدتا كمّاً هائلاً من التعريف بماهية السرد الآني وبيان وظيفته في حركة أشكال السرد في هذا المشهد، وهي التي ألمحت وبيّنت المكان الموحّد الذي تعيش فيه العائلة ودارت بينهما هذه العلامة المغلقة في الإجابة والدهشة للحوار الذي أنتج هذه المشاعر في الشخوص جميعاً .

المشهد السردي عند حمدي مخلف الحديثي في هذه الرواية صِيغَ بأشكال حركة السرد الآنية، والمكان هو الذي أوجد السرد الآني، المكان الاجتماعي الأليف المغلق (البيت)، مع بعض الهزال، وبعض تضامن اللون في رسم المشهد رسماً دلالياً، هذا وناهيك عن الحدث الذي تمر به الشخصية الأولى (حنش) وما تفعله من شرب السجائر والتوتر الحاصل عن الأسئلة المكررة لحالة العائلة المقلقة الذي صورها السرد الآني، والمكان ... بشكل منسق.

وأمّا في الرواية الثانية للروائي (حمدي مخلف الحديثي) وهي بعنوان (الدائرة تبدأ مني)، فإننا نجد أنواعا أخرى من أنواع حركة تشكيل السرد، وهذا النوع هو ما أُطلق علية بالشكل السردي المتقدم، وهو ما أوجزنا التعريف والشرح في ماهيتهِ مصطلحاً ودلالةً من قبل، أما المشهد السردي عند هذا الروائي والذي يحتوي هذا النوع من أنواع أشكال حركة السرد في هذه الرواية وهو قول الروائي:

(في المعسكر قالوا: ستكون من الجنود الجيدين، لكني لم افكر كيف ولم اسأل؟ كنت حريصاً جداً على أن لا أكون بين قائمة الغائبين ولا في سجل المشاكسين، ولذا قلت لنفسي :

- يجب أن أكون كما يقولون عني.

عندما اكملت فترة التدريب، قيل لي : ستكون في قلم (الفوج) وأنت نائب ضابط مكلّف.

أجل، سأكون كذلك، ادخل الأضابير والملفات وأوراق المجازين كما ستكون (المواقف) جزءاً مني وسوف يصبح اسمي بين الاسماء المعروفة في الفوج، وما علّي سوى أن تكون علاقتي طيبة مع أفراد الليل والنهار وان أحسب أيامي حتى يحين تسريحي، وبعد ذلك أبدأ الحياة ثانية مع زوجتي وطفلي صوب الفرح والهدوء والأمنيات) [23] .

إنَّ كل ما قرأنا وما يُقرأ في هذا المشهد الحكائي المكتوب بعناية ودقة من قبل الروائي حمدي مخلف الحديثي هو سردٌ خالص ، سرد ذاتي خاص للشخصية الرئيسية الأولى في المشهد وهو الروائي نفسه، والسرد المتقدم ومتقدم بكثير، عرف الروائي المتقن في رواياته كيف يتحدث عن نفسه وكيف يقدّم لنا جملة من الأمور المستقبلية في هذا السرد ، فهو أصبح ـــ مستقبلاً من الجنود الجيدين المتميزين الذي يمارسون عملهم الإداري والوظيفي بدقة وانتظام.

أصبح ـــ مستقبلا، نائب ضابط لحنكتهِ وأدائهِ العسكري المميز.

وأصبح ـــ مستقبلاً، حرّاً طليقاً بأمر التسريح وهو على علاقة جيدة بالجميع ممن عرف وعاش وعمل. وسيصبح بعد ذلك كله زوجاً طيباً صالحاً، وأباً حنوناً محباً للخير لعائلته. هذا كله أبان عنه السرد المتقدم ، وهو بُنِيَ على المكان في المعسكر (المكان الواقعي المفتوح)، الأليف في نظر هذه الشخصية وفي خدمتها العسكرية المميزة المجدّة. وفي المكان الأليف المغلق ـــ المتخيّل ـــ البيت، وفيه سمات الأب الطيب والزوج الصالح ، وهذا ما يوفره مناخ البيت وعلاقاته بين أفراد الأسرة دائماً[24].

السرد المتقدم والمكان بنوعيه هما من بيّنا المشهد السردي، وهما من اوصلاه إلى القارئ عما يريد الروائي.

وأمّا في رواية (هكذا يأتي المطر الجميل) للروائي حمدي مخلف الحديثي أيضاً فإننا نجد السَرد التابع نوعاً جديدا بنائياً لحركة اشكال السرد في مشاهد الرواية السردية، وهنا المشهد السردي الذي يقول فيه هذا الروائي :

(كنت أفتش عن نفسي القديمة في هذا الضياء الغامر العجيب، وأنا ابن (حديثة) الذي لا يعرف أي شيء عن هذا العصر الجميل الفاتن الذي اسمه النساء فما كان في ريف (حديثة) سوى العباءات السود تخفي وجوه النساء وتطمر جمالهن وراءَ الأبواب الخشبية والنوافذ والتقاليد،

لكن كانت نساء(محطة ك3) يعرفن الجمال والمكياج، وآخر موديلات الملابس ..

- كيف تدخل إلى محطة ك3 ؟؟
- بالهوية ..
- ألديك هوية؟!
- نعم . . لديَّ هوّية ولديَّ حبيبة فيها) [25] .

المشهد السردي هنا يرسم بفرح وسعادة عند الروائي، إنه الفنان التشكيلي المتألق الذي يرسم لوحة من الذكريات الجميلة التي عاشها في أمكنة الجمال، الحديثة ـــ جمال المكان،

الحديثة ـــ جمال النساء،

الحديثة ـــ ك3 وجمال الحبيبة فيها.

وهذا المشهد الذي قام على السرد التابع كان سردا توليديا من الحدث إلى الحدث وكلهُ يقوم على المكان الأليف المفتوح من مثل: الحديثة، ك3 . وغياب هذه الاماكن الدالة على الجمال الروحي والجسدي في آن واحد معاً جمال النساء، وعطرهن، الموديلات، المكياج، الأبواب والنوافذ ـــ عتبات الوصول إلى ذلك الجمال الساحر. كأنك تقرأ نصاً أدبياً في الغزل.

السرد التابع هنا ولّد هذه الأحداث التي قامت على المكان، وعلى الحدث الرئيسي في السعي إلى الوصول إلى المحبوبة في مكانها مهما كان الوصول صعباً أو بعيد المنال. و يظهر لنا السرد المتقدم في أحد مشاهده السردية في الرواية نفسها بقوله في ذلك المشهد:

(قيل لي منذ الغد ستذهب إلى الجامعة المستنصرية تدخل في دروبها وتبحث عن اسمك في قائمة معلّقة على الجدران، إذا رأيت اسمك فأنت واحد من المقبولين وعليك بعدها أن تذهب يومياً كأي طالب نجيب إلى هذا المكان، وقد صار فيما بعد نصف حياتي أما نصفها الثاني فهو الذي لا يمكن نسيانه أبداً، حيث انقضى بين الشظايا، والرصاص ...)[26].

وهنا يأتي السرد المتقدم عند الروائي حمدي مخلف الحديثي ليلعب مفارقة ضدّية ودرامية، تقوم على دور الشخصية نفسها، أي أنها بطلة الحدث ومن تقوم بالسرد والسرد المتقدم على وجه الخصوص، هي التي تحكي عن نفسها مستقبلاً بهذا النوع من أنواع أشكال حركة السرد. المفارقة ضدَية درامية، ومن البداهة أن تأتي درامية في المشهد الروائي هذا، فهي تتقدم بسرد مفصل عن الغد وما سيحدث فيه، وما سيحدث في ذلك في ذلك المكان البهي المفرح (الجامعة المستنصرية)، وهي تأتي بسرد بسيط مختصر بدءاً من الماضي الذي يراد له أن يُنسى بالسرد المتقدم الجديد وبالمكان المفرح الجديد ـــ الجامعة، بعد ما كان عمراً ماضياً انقضى في ويلات الحرب ومآسيها ومصاعبها.

السرد المتقدم حركة شكلية سردية أتى به الروائي حمدي مخلف الحديثي في مشهده هذا، وهو قائمٌ على المكان (الجامعة) وهو المطلوب بقوله صريحاً(الغد)، أمّا عن الماضي فللنسيان وللتذكر والأمل بالمستقبل وما سيفعله في هذا المكان.

وعن رواية (لا عزاء للعتيقة) للروائي (عبد العزيز محمد الرشيد) نجد أشكالاً لحركة السرد متنوعة الدلالات مختلفة التسميات من الأشكال اللاحقة والأشكال السابقة وحتى الأشكال الآنية وغيرها، وهذه الأشكال جميعاً ساعدت الروائي في بناء المشهد السردي البناء المحكم، ومن ثم روايته وما يريده منها، فضلاً عن توافر المكان بأنواعه هنا وهناك مع أغلب أشكال حركة السرد التي جاءت في هذه الرواية. ولعل من ذلك قوله في أحد مشاهدها السردية:

(مضت ساعات قبل أن تقبل خيول الجندرمة إلى حامية "الحديثة" محمله بجثث القتلى وأنين الجرحى، فأستشاط غضب الحامية برمتها، وخرجت قوة منها مدججة بالسلاح تلاحق الفاعلي، حتى وصلت مكان الحادث، وتتبعت أثار عجلات العربات، فوجدتها تخترق الهضبة باتجاه الصحراء، فعادت مسرعة لتضع خطة ملاحقتهم، بطريق عودتها

شاهدت عن بعد فرساً أصيلاً مسرجةً تتوقف حينا لترعى عشبا في أحد المنخفضات، وتمشي حينا آخر، فأحاطت بها وأمسكتها لتقتادها معها إلى الحامية. كانت تلك فرس فاضل أدام الهوش التي هربت مذعورة.)[27]

إنَّ أشكال حركة السرد قد ظهرت أجمعها في هذا المشهد السردي _ كما أسلفت _ في بدء الاستشهاد به، فالسرد السابق ظهر بقول الروائي ... مضت ساعات ، والسرد اللاحق ظهر في عناية المشهد السردي حين أوقف الروائي الحدث على فرس هذا الرجل ـــــ الشخصية من بين شخوص المشهد والرواية برمتها (فاضل أدام). وأمّا ما بين نوعي أشكال حركة السرد هاذين فهو السرد الآني الذي أتى على أغلب احداث المشهد السردي، فهو بؤرة الحدث وماهيته وما يريد الروائي أن يصل به إلى القارئ. المكان وُضحت ملامحه من خلال: فعل الجندرمة المقيت الغاصب . ومن خلال : الحيوان ولاسيما الفرس وما تفعله.

هذا فضلاً عن موحيات المكان الدالة على الحدث، عربات العدو، السرعة المتلاحقة، الهضاب، السهول، السلاح، مكان الحدث ... هذه الأمكنة بأنواعها وأنماطها ساعدت الروائي كثيراً في إتقان رسم كل شكل من أشكال حركة السرد، ورسمت الكثير من وظائف هذه الأشكال وأنواعها، ولاسيما السرد الآني الذي صور الاحداث ورسم مشاعر الروائي المفزعة المتألمة مما يحدث، ومما سيحدث .

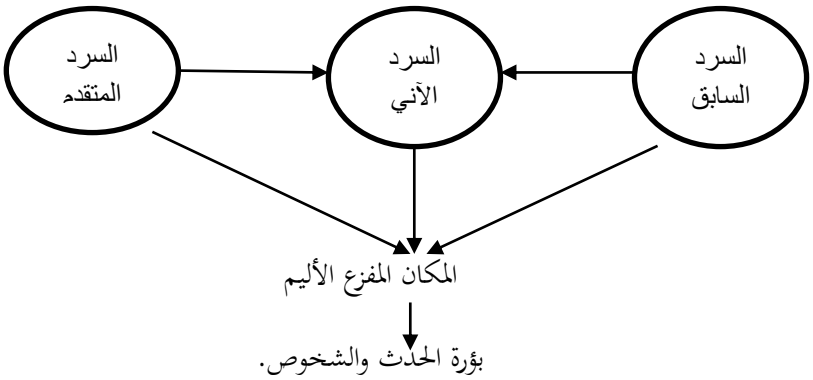

وهذا هو المكان الذي يحوي أشكال حركة السرد وهو الذي يوضّح أفكار الروائي ويجلي أهداف أي نص أدبي إبداعي يأتي فيه، كما لاحظنا في هذه الرواية في مشاهد عدة منها في مباحث دراستنا وفصولها، وفي هذا المشهد الذي أتى فيه الروائي عبد العزيز محمد الرشيد على أغلب أشكال حركة السرد ... تقريباً .

وأمّا في رواية (أولاد حمدان) للروائي (راسم عبد القادر الحديثي) فإننا نجد فيها انواعاً من أشكال حركة السرد جميعها إذ نلحظ التنوع في حركات السرد تارةً التابع وتارةً أخرى الآني أو المدرج أو المتقدم، ومن ذلك مثالاً مختاراً ما قالهُ في أحد مشاهده السردية في هذه الرواية:

(الساعة السادسة مساءً، دخل غسان وحسين مطعماً يتكون من مسقف معدني يبلغ طوله حوالي ستة أمتار! تصطف بداخلهِ مناضد بشكل متوازٍ، وتحيط كل منضدة خمسة مقاعد خشبية.

– تفضل يا حسين، أرجو أن يكون طعامنا لائقاً.

– نعم ، البطاطا المقلية مع البيض المسلوق عشاء مناسب، وفي العراق نفضل عشاء من هذا النوع. وبعد العشاء كان على حسين الخلود للنوم مبكراً، أجهده الطريق كثيراً)[28] .

أغلب أشكال حركة السرد واضحة في المشهد تقريباً، أو هي كما أسلف القول في المشهد السردي الذي تكلمت عنه في رواية (لا عزاء للعتيقة) للروائي عبد العزيز محمد الرشيد، زادَ الروائي راسم عبد القادر الحديثي في أشكال حركة السرد هنا نوعاً في استعمال السرد المتدرّج في الحدث وما تفعله الشخوص بأفعال متدرجة بين الجلوس وإعداد الطعام، وأكل الطعام، وغسل الصحون والنوم، بعد رحلة متعبة ـــ السرد الآني، وبعد دخول البيت القديم ـــ السرد السابق... وهكذا. ولكنَّ الروائي زاد من استعمال فصيلة الوصف بشكل كبير في هذا المشهد، فوصف المكان وما فيه وصفاً دقيقاً، ووصف ساعات الدخول وساعات تهيأة الطعام وساعات ألأكل، ووصف ما يقوم به الأشخاص، فضلاً عن وصف الحدث .

السرد المتدّرج هنا هو الذي فتح للروائي مثل هذه الأوصاف حتى تتشاكل مع حركته التي يريدها الروائي، وهو ما يأتي من أجله هذا النوع من أنواع أشكال حركة السرد. ولذا يمكن القول أنّ الروائي أحسن استعمال هذا النوع من انواع أشكال حركة السرد، وأمّا المكان فهو اجتماعي مغلق أليف(البيت)، وأوصافه الدقيقة ترجمت السرد المتدرّج وباقي أنواع وأشكال حركة السرد إلى حقيقة ملموسة لهدف الروائي ومضمون روايته الملحمية التي تحكي تاريخ هذه العائلة أو تقصّ أفعالها.

وفي رواية (مدينة نخلة ألماز) للروائي (حمدي مخلف الحديثي) التي اعتمد سردها في الغالب على نظام الرسائل أو الأوراق وهي التي وجدها في الصندوق على شكل رزم. نلحظ في هذه الرواية نوعاً من أشكال حركة السرد، ومنها السرد المدرّج بين ثنايا الزمن الحكائي في قوله في المشهد السردي هذا:

(ها أنا الآن ..

في غرفة من غرف البيت الذي ورثته عن جَدّي المسكين بعد أن ورثه والدي .. جَدّي الذي مات قبل أن يرى ما حصل في المدينة ..

أنا الآن ..

أجلس بهدوء على الكرسي .. .. لكنَّ ثمة شعوراً بقلق وخوف قليل مما هو في الصندوق ..

أهو ذهب :

مجوهرات .. ؟ فلوس .. ماذا فيه ؟

امسح الصندوق .. وأزيل عنه التراب .. ثمة قفل صغير .. كسرته ..

.....

.....) [29].

أيضاً يقوم المشهد السردي هنا على السرد المدرج بين ثنايا الحكايا وهو أصعب انواع أشكال حركة السرد، ولذا أختفى الروائي تقريباً خلف شخصيته التي رسمها في مشهده هذا.

السرد المدرج هنا هو الذي جلبَ الحيرة والدهشة والقلق عمّا في رسالة الجدّ (المتخيلة) إلى الحفيد، وما سيكون في هذا الصندوق بعد فتحه.

أشكال حركة السرد هنا من خلال نوعها هذا أبانت عن مشاعر الذات ـــ الروائي ـــ الشخصية، وما تريد إيصاله إلى القارئ ببراعة ودقة متناهية، وهذا ما قد لا يوفّق إليه أي روائي إلا الروائي الحصيف المثقف مثل الروائي والفنان والباحث حمدي مخلف الحديثي.

وأما موضوعنا وهمّنا البحثي الفكري (المكان) فهو الغرفة وما فيها من أحداث تدرجت زمنياً إلى إتمام أشكال حركة السرد.

وهنا الصندوق ـــ الدهشة والحيرة، عتبة السؤال والمتممة لأشكال حركة السرد في السرد المدرج ... أيضاً.

ولا شك في أن المكان هو الذي جمع بين الأزمنة من خلال هذين المكانين الغرفة والصندوق وما فيهما من مفارقات في الماضي والحاضر بين الابن والجد، وبين ما كان في هذا الصندوق وما قد سيكون ...

وفي رواية (خريف الشرق) للروائي (راسم عبد القادر الحديثي) أيضاً فيها تنوّع في أشكال حركة السرد وما تتركه في نفس القارئ من تأثير وتشويق وغيرها، إذ نلحظ دمج السرد التابع مع السرد المتقدم في بعض نصوصها الروائية، منها قوله:

(بدأت أفكر ماذا سأقول : سأقول احبك.. نعم أحبك هذه الكلمة التي لم أجرؤ على قولها يوماً، هي حلمي ومناي وحلمك ومناك، سنوات مرت وأنت تنتظرينها كما تنتظر أم فقدت طفلها .

قلت أنا رجل عليّ لفظها، سأصرخ بأعلى صوتي: أنا أحبك. ظهرتِ تسيرين بخطى متئدة واثقة، تتدلى على كتفيك روب يليق بطولك، ظهر حبي وملاكي وحياتي، لم أعد أستطيع السيطرة على ارتجاف ساقي.. ووقفت متكئة على حافة الباب قلت من دون دراية: مساء الخير

أجبت بانكسار: مساء النور.

قلت: كيف حالك.

أجبت وأنت تحدقين بي: الحمد لله.

قلت أنا مع السلامة .

أجبت بصوت لا يسمع: مع السلامة)[30] .

لم يكن الروائي راسم عبد القادر الحديثي بمنأىً عن وظيفة أشكال حركة السرد نوعية التابع والمتقدم كما جاء من خلال ألفاظ المشهد وكلماته ، ولكنهُ آثر وسيلة الحوار هذه المرة لتشكل نوعي هذا السرد من جهة أشكاله المعروفة ولتحكي مشاعر هذين الحبيبين ـــ الشخوص فلرواية من هذا المشهد في العلاقات الغرامية الغزلية المشهورة في الأدب شعراً أو نثراً .

المكان جاء مع نوعي السرد وما جاء من خلال الحوار الوسيلة السردية التي بنى عليها الروائي مشهده، وهو حقيقي ومشهور وأدى وظيفته البنائية والدلالية كما يريدها الروائي، وكما هي مشاعر العشاق وأماكنهم .

والسرد الآني في رواية (تحت شجرة التوت) نلحظه في قوله في المشهد السردي هذا :

(طرق باب بيت لهيب فوجد مفرزة من الشرطة، بعد التحية والتعزية سألوه: "هل تشك بأحد يا لهيب، من شنق والدك رحمة الله؟ هل تعتقد هو قتل نفسه ؟ " .

- لا علم لي بأي شيء .
- هل له أعداء ؟.
- لا
- تفضل معنا إلى مركز الشرطة للتوقيع على ما قلته؟

تقدمهم لهيب صامتاً كئيباً متبرماً وحتى وقف أمام ضابط الشرطة الذي كرر الأسئلة ذاتها وأعاد لهيب الاجوبة ذاتها ثم وقع وبصم على ما كتبه) (31)

في هذا المشهد السردي خلط الروائي بين السرد الآني والذي هو في الحاضر وبين السرد التابع، فالأفعال الماضية تدل على أن الحدث سابق لزمن السرد. والحوار هنا وثق السرد الآني وكأنما الحوار وصورته أمام المتلقي الآن. والمكان بقي متناثراً هنا، وهنا يوضّح هذه الأنواع من أنواع أشكال حركة السرد، ويؤدي وظيفة الحوار عند الروائي كما جاء به بنيةً ووظيفةً في رواياته السابقة، والأمكنة كانت متنوعة ولكنها أعطت بجملتها دلالة العداء حتى بيت(لهيب) أصبح مكاناً معادياً وفيه صفات العداء بعدما دخله الشرطة واعتقل لهيب فيه!!!

الروائي أيضاً استعمل ماهيّة الوصف وسيلة سردية في صلة متتابعة مع الحوار، ولهما الوسيلتان والمكان (البيت، مركز الشرطة) أبقت على اشكال حركة السرد التابعة والآنية في تتابع ورسم للوصول إلى الحدث وإلى إبراز المشهد بهذا الشكل المأساوي الذي يمقته الجميع. توافرات أغلب عناصر السرد ووسائله لإنجاح المشهد، وإنجاح عموم الرواية وبقيَّ المكان هو الذي بين هذه العناصر ويقوم عليها السرد بأشكال حركته المختلفة للوصول إلى الهدف.

وفي رواية (صخرة) للروائي (حمدي مخلف الحديثي) نجد أن السرد الآني في قوله في المشهد السردي هذا :

(غاب النهار خجولاً أمام الليل ..

- سنخرج الليلة .

قالت شقيقتي هذا في وقت الغروب، فاعتذرت ...

بقيت لوحدي والليل صاحبي ..

ماذا حصل لو تحولت الصخرة إلى صبي وشاهدوه؟

سجل الرعب ..

حملت الحقيبة، أصبحت أمام باب الشقة، قلت:

- أرجوكِ أيتها الصخرة لا تتحولي إلى صبي

جاءني الصوت:

- لا تخف ..، أنا من يحولها .. هو ولدي.
- أرجوك .

اختفى الصوت)[32]

ونرى أنَّ الروائي حمدي مخلف الحديثي في هذا المشهدي السردي وفي عموم روايته هذه، توافرت الكثير من سمات النجاح، ولاسيما مع المجاز في التشبيه والاستعارات وفي استنطاق الموروث الأدبي لليل وطوله أمام هذه الصخرة الشمّاء التي حملت عنوان الرواية، وحملت دلالاته ووظائفه وما يريده الروائي من مسميات بعيدة تصف هذا العنوان، والسرد الآني هو الذي حمل مشاعر الروائي بهذا النوع الشكلي من أنواع أشكال حركة السرد إلى القارئ.

أمّا المكان الصخرة فهو عنوان الرواية وهو المكان المحور الذي تقوم عليه أغلب أحداث الرواية ومشاهدها السردية ومن هذا المشهد. المكان هنا هو الدّال الحقيقي والجوهري المكوّن لأحداث الرواية ولبناء أشكال حركتها السردية ومنها السرد الآني الواضح في هذا المشهد في البناء والدلالة والوظيفة.

وأمّا الروائي (طلال سالم الحديثي) في روايته فقد استطاع توظيف أشكال حركة السرد بأنواعها المختلفة، ففي رواية (السلطان) نلحظ في هذا المشهد السردي الدمج ما بين السرد التابع والسرد الآني في قوله:

(كان يشعر أن وجوده بين عائلته وجود هامشي يقتصر على (التسوّق) للبيت وتسديد فواتير الماء والكهرباء والهاتف، يقضي سحابة يومه منذ السادسة صباحاً لحين صلاة الظهر في حانوته، حتى إذا حان أذان الظهر، قفل باب حانوته وأتجه إلى شقته ماشياً على قدميه مسافة ألف متر ليجد غذاءه جاهزاً يتناوله بمفرده على عجل، حتى إذا أدى صلاته شرب شايهُ وقفل عائداً إلى حانوته الذي تتضامن فيهِ نفسه....)[33] .

الحدث هو للرجل كبير السن، وكثير التجربة في هذه الحياة. والسرد الآني أوجد السرد التابع من خلال الحدث وما تقوم به الشخصية من أفعال، ولاسيما في العناء في بعض هذه الأفعال وهو ما أوجد السرد الآني بسهولة ودقة ايضاً.

المكان توافر في النص بأنواع كثيرة أغلبها الأمكنة الاجتماعي ، البيت ، السوق، الحانوت. كما أن موحيات المكان توافرت في المشهد أيضاً من مثل : فواتير الماء، السحابة، الباب، الشاي ... وهي أوحت للروائي أن يأتي بنوعين من أنواع حركة أشكال السرد، السرد التابع الذي كان مع موحيات المكان وأفعال الشخصية بشكل أقرب وأدق من السرد الآني وهو ما كان مع أنواع الأمكنة الاجتماعية وأفعال الشخصية فيها.

وفي رواية (ما تقوله الرحى) للروائي (طلال سالم الحديثي) نجد السرد المتقدم في قوله في المقطع السردي هذا:

(صاح صائح (محاضرة) تلبث قليلاً واعتدل في جلسته حين علم أن المحاضرة ستكون في قاعة المحبس، بعد دقائق اكتمل تجمّع الأسرى على أسّرتهم ليستمعوا إلى (محاضرة) عبد الستار أرشد المحبس الذي اشتهر بين سامعيه بقدرته على الثرثرة التي لا تتعبه بل يجد فيها متسعا ليخرج ما في كيسه من أقوال شائنة وألفاظ نابية وعبارات تائهة هي في أفضل أحوالها كطعام المجدي الذي كان يراه في (قوطية) يحملها مجدون يدورون على بيوت القرية فيضعون الدبس فوق البطيخ، والرز فوق التمر، والمرق فوق الرقي فإذا هي أخلاط تعافها النفس)[34]

بدأ الروائي مشهده السردي هذا بالسرد المتقدم، فالمحاضرة قادمة لم تكن حينما صاح الصائح، وانتهى المشهد بالسرد التابع وهو سرد وصفي لتلك الشخصية التي تلقي المحاضرة على الأسرى، جاء السرد المتقدم هنا في بدء النص لتشويق القارئ فضلاً عن أنه كان بمثابة جسر عبر به إلى وصف الشخصية وما تقوم به من كثرة الكلام والإهانة للأسرى. والمكان هو المكان المعادي الأسر والسجون، وهو ما أوجد نوعي السرد، وما دار فيها الحدث بكل جرأة من الروائي كما لاحظه وسمعه وشاهده.

الخاتمة ونتائج البحث:

أختم بحمد الله عز وجل موضوع بحثي هذا بجملة من النتائج التي توصلت إليها:

- تعدُّ الرواية فضاءً واسعا بأمكنتها التي تتخذ اشكالا عدة وأنواعا مختلفة تمنح النص السردي جمالاً ورونقا.

عالجت روايات الروائيين في قضاء الحديثة أشكال حركة السرد بأنواعها كافة.

- غالبا ما تكون بعض الروايات متجه نحو الزمن الماضي إذ لاحظنا تكثيف الروائيين لحركة السرد التابع باعتبار أَن معظم تلك الروايات هي استحضار أو استرجاع للماضي ولا أدلُّ على ذلك سوى تلك الروايات التي دونت احداث نهاية القرن الماضي
- جسد الروائيون في قضاء الحديثة السرد المتقدم إذ نلحظ أنَّ الروائي حمدي مخلف الحديثي تحدث في رواياته مدينة نخلة ألماز التي طبعت في عام 2016م عن عام 2050م ولربما يكون هو أبعد أزمنة السرد المتقدم عن زمننا الحاضر.
- السرد بأشكاله كافة هو عمل إبداعي تعبيري، يمنح المتعامل معه الحرية الواسعة في معالجة الظواهر الاجتماعية والإنسانية المرتبطة بالجماعات البشرية في مختلف شؤونها الحياتية سواءٌ كانت الاجتماعية أم الثقافية أم الاقتصادية وحتى السياسية.

الهوامش:

(1) الشعرية : ص 23.
(2) البنية السردية في القصة القصيرة : ص 13.
(3) تقنيات السرد في روايات غريب عسقلاني (رسالة ماجستير) : ص20.
(4) تحليل الخطاب الروائي: ص 41 .
(5) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : ص 30.
(6) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة : ص 11.
(7) بلاغة الخطاب وعلم النص : ص 285.
(8) خطاب الحكاية : ص 233.
(9) م. ن . : ص 233.
(10) قصة مدينتين، تعرف وتلخيص: ص 7.
(11) خطاب الحكاية: ص 246

(12) قاموس السرديات: ص 17 .

(13) خطاب الحكاية : ص 231 .

(14) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة : ص 97 .

(15) م. ن . : ص 78.

(16) خطاب الحكاية: ص 231.

(17) قاموس السرديات: ص97.

(18) خطاب الحكاية: ص231.

(19) البنية السردية (الزمن – المكان – الشخصيات) في رواية بني العصيان لحميدة العياشي أنموذجاً (رسالة ماجستير): ص17.

(20) البنية السردية في رواية الغريب لألبير كامي (رسالة ماجستير): ص24.

(21) الصادقون أبطال في مدينتنا : ص14 .

(22) ينظر: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي: ص261.

(23) الدائرة تبدأ مني: ص 9-10 .

(24) ينظر: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي: ص89-90.

(25) هكذا يأتي المطر الجميل : ص22

(26) م. ن. : ص26.

(27) لا عزاء للعتيقة: ص217 - 218.

(28) أولاد حمدان: ص 304- 305.

(29) مدينة نخلة ألماز: ص14.

(30) خريف الشرق: ص54، وينظر: أربعة رجال: ص 18 ،وينظر: تحت شجرة التوت: ص16-17 ... وغيرها.

(31) تحت شجرة التوت: ص102 ، وينظر رواية أصنامو فوبيا: ص16 ،19، 30، 33 ... وغيرها

(32) صخرة : ص 22-23 ، وينظر: الخريف الأخير: ص 13-14 ..... وغيرها.

(33) السلطان : ص 139 .

(34) ما تقوله الرحى: ص 32 ، وينظر: بين قريتين: ص 14.

المصادر والمراجع .

الروايات :

- أربعة رجال ، حمدي مخلف الحديثي ، مطبعة اليسر – حديثة ، ط1، 2018م.
- أصنامو فوبيا ، راسم عبد القادر الحديثي ، دار الجواهري للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد، ط1 ، 2016م.
- أولاد حمدان ، راسم عبد القادر الحديثي، شركة دار العلوم للطباعة – بغداد، ط1، 2015م.
- بين قريتين ، عبد العزيز محمد الرشيد ،مطبعة اليسر – حديثة، (د.ت).
- تحت شجرة التوت ، راسم عبد القادر الحديثي، دار امل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع

- دمشق، ط1، 2018م.
- الخريف الاخير، عادل رافع الهاشمي، النخبة للطباعة والنشر والتوزيع - مصر، ط1، 2019م.
- خريف الشرق، راسم عبد القادر الحديثي، دار الجواهري للطباعة والنشر والتوزيع - بغداد، ط1، 2017م.
- الدائرة تبدأ مني، حمدي مخلف الحديثي، المكتبة الوطنية دار الكتب والوثائق - بغداد، ط1، 1995م.
- السلطان ، طلال سالم الحديثي، مطبعة اليسر - حديثة ، (د.ت).
- الصادقون أبطال في مدينتنا، حمدي مخلف الحديثي، مطبعة اوفيست الميناء – بغداد، ط1، 1978م .
- صخرة، حمدي مخلف الحديثي، مطبعة اليسر - حديثة ، ط1 ، 2020م.
- لا عزاء للعتيقة، عبد العزيز محمد الرشيد ، مطبعة اليسر - حديثة ، ط1 ، 2014م.
- ما تقوله الرحى، طلال سالم الحديثي، مطبعة اليسر - حديثة، (د.ت).
- مدينة نخلة ألماز، حمدي مخلف الحديثي، مكتبة تنوير، باب المعظم - بغداد، ط1، 2016م.
- هكذا يأتي المطر الجميل، حمدي مخلف الحديثي، دار الشؤون الثقافية - بغداد، ط1، 2002م.

الكتب والرسائل الجامعية :

- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ، 1992م.
- بنية السردية (الزمن –المكان - الشخصيات) في رواية بني العصيان لأحميدة العياشي أنموذجاً (رسالة ماجستير) ، زعروري عائشة وزمور سعاد ، جامعة عبد الرحمن ميرة- بجاية ، الجزائر ، 2015.
- البنية السردية في القصة القصيرة، إبراهيم رماني، دار الشهاب، باتنة - الجزائر، ط1، 1985م.
- البنية السردية في رواية الغريب لألبير كامي، فريدة خباطي، (رسالة ماجستير)، جامعة 8 ماي 1945 قالمة – الجزائر، 2019م .
- تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط4، 2005م.
- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي – بيروت، ط3، 2010م.
- تقنيات السرد في روايات غريب عسقلاني، نسرين جمال النيرب، (رسالة ماجستير)، جامعة الازهر – فرع غزة ، 2017م .
- خطاب الحكاية – بحث في المنهج ، جيرار جينيت ، تر: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر الحلي، منشورات الاختلاف، ط3 ، 2003م .

الشعرية ، تزفيتان تودورف، تر: شكري المدخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر– الدار البيضاء، المغرب ، ط2 ،1990م.

قاموس السرديات، جيرالد برنس، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والطباعة – القاهرة ، ط1 ، 2003م.

قصة مدينتين، تعرف وتلخيص، تشارلز ديكنز، خليل الهنداوي، دار العلم الملايين – بيروت، ط6، 1979م.

مدخل إلى نظرية القصة، سمير المرزوقي وجميل شاكر، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، (د. ط.)، 1985م.

المكان في الشعر الاندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، د. محمد عويد محمد الساير، دار الرضوان للنشر والتوزيع – عمّان، ط2، 2012م.